أسماء الله الحسنى
الكبير الأكبر المتكبر
اللقاء الثاني والعشرون

الحمد لله الذي يتصاغر أمام عظمته العظماء، وينهار أمام كبريائه الكبراء، الملك الجبار القوي القهار، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، والصلاة والسلام على أعرف الخلق بالله وأوصلهم به وأحظاهم لديه، سيدنا محمد -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتبعه-، ما نجم لاح وما فلق إصباح:

نَادَى الْمُحِبُّ بِلَيْلِهِ رَبَّاهُ أَسْمَاءَكَ الحُسْنى تَلَتْ شَفَتَاهُ

وَيَذرِفُ الدَّمَعَاتِ يُفَجّرُها الدُجَى يا طالَمَا جَادَتْ بها عَيْنَاهُ

وبَلاؤُهُ نَحَتَ الرّدَى بِعِظامِهِ والهمُّ في لُجَجِ الشَّقَا أَشْقَاهُ

رَحْمَنَ هَذا الْكَوْنِ أَنْتَ رَحِيمُنا أنتَ الْعزيزُ وَذَلَّ مَنْ عَاداهُ

مَلِكٌ وقدُّوسٌ سلامٌ مؤمنٌ وَمُهَيْمِنٌ يا فوزَ مَنْ أَرْضَاهُ

فاللهُ جَبّارٌ قَوِيٌّ واحِدٌ مُتَكَبّـرٌ لَلْكِبْرِيـاءُ رِدَاهُ

هُوَ خَالِقٌ هُوَ بارئٌ ومصورٌ واللهُ غَفّارٌ لِمَنْ لَبَّاهُ

البشرية اليوم تقف على أعتاب مرحلة حاسمة في تاريخها الإنساني، فهي الآن تعاني من أقصى درجات الانهيار النفسي والاجتماعي والثقافي والحضاري؛ فالأمراض النفسية والاجتماعية تكاد تعصف ببنية كثير من المجتمعات الغربية، ومعدلات الانتحار قد بلغت أعلى درجاتها في أوروبا وأمريكا؛ فمن كل مائة شاب في أوروبا ينتحر عشرون، وفي أمريكا ينتحر ثمانية عشر، والنسب قابلة للزيادة، وذلك رغم توافر شروط الحياة الناعمة والرفاهية الزائدة في هذه المجتمعات، ولكنها مع ذلك حائرة هائمة تائهة، والسر وراء ذلك كله هو بعد هذه المجتمعات عن دين الله وهداية السماء، ولو دخل نور الوحي إلى هذه القلوب لأضاء ظلمتها، وأزال حيرتها، ونجاها من مصير أليم.

ورغم التقدم العلمي والصناعي الذي عليه هذه الأمم إلا أنها تعيش حالة من الضياع النفسي والخواء الروحي؛ بسبب الفصام النكد بين حاجات النفس والجسد، فالنفس البشرية لها حاجاتها وغذاؤها مثل الجسد تماما، وغذاؤها الحقيقي في العلم بالله والفقه بأسمائه وصفاته، فلو لاحظت النفس البشرية لوجدت أن هناك توافق بين خصائصها وبين أسماء الله الحسنى ففي جِبِلَّتِها ميلاً للكبير، وفي جِبِلَّتِها إقبالاً على العظيم، وحين تصاب بكل أنواع الاضطراب وأنواع الضياع وأنواع التشتت فإنها تتبددُ إذا تعرفْتَ على الله -عز وجل- وتطمئن بعدها نفسك، وهذا هو الشاهد

من قول الله -عز وجل-: (الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) [إبراهيم:28].

فهذه القلوب لا يزيل قلقها واضطرابها إلا ذكره، ولا يجلب أفراحها ولذاتها إلا اسمه؛ لأنها تدرك أنها تعيش في كنف كبير، ولا يضمن سعادتها وطمأنينتها إلا وحيه؛ لأنها تأوي إلى ركن شديد.

إن البشرية فطرها الله وجبلها على أن لا تخاف إلا الكبير، ولا تحترم إلا العظيم، ولا تحسب حساب أحد إلا الكبير، وهذا يقال حتى على نطاق الأفراد والدول؛ الكبير سواء كان كبره بماله أو بجاهه، أو حتى بكنهه وماهيته، وحديثنا بحول الله وقوته مع اسم من أسماء الله -عز وجل- للنفس البشرية به خصوص وعناية واهتمام زائد، وهو اسم الله الكبير، فمما جبلت عليه النفس البشرية، أنها لا تختار إلا الكبير، ولا تُقبِل إلا على كبير، ولا تُعجَب إلا بالعظيم، وهذا من خصائصها، لذلك كلما أدرك الإنسان عظمة ربه وكبرياءه وتعرف على الله أكثر ترتاح نفسه؛ لأنَّ فِطرته تميل طوعاً للكبير، واختيار القوي العظيم، وهذا مشاهد في أمور الحياة الدنيا؛ فما بالك بمن هو الكبير على الحقيقة الذي لا أكبر منه، ولا أعظم منه سبحانه.

ورد اسم الله الكبير في القرآن: في ستة مواضع، وورد اسم الله تعالى المتكبر في آية واحدة أيضًا من القرآن وهو قول الله تعالى: (الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ) [الحشر:23].

اسم الله الكبير كثيرا ما ورد في القرآن مقرونا باسمه العليّ، وباسمه المتعال، لمناسبة صفة الكبرياء والعظمة لعلوه -عز وجل-، من ذلك قوله تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) [الرعد:9]، (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) [سبأ:23]، وقد فسّرت السنة هذه الآية كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "إِذَا قَضَى اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَالسِّلْسِلَةِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ فَإِذَا (فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ) لِلَّذِي قَالَ: (قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) [البخاري:4701].

ومن مواطن ورود اسم الله الكبير مقترنا بالعليّ قوله سبحانه: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) [الحج:62]، وقوله تعالى: (ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ) [غافر:12].

قال السعدي: وحقيقة الكبرياء التي لا يعلمها إلا هو دون غيره، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وتعني كل صفة كمال وجلال وكبرياء وعظمة، وهي ثابتة له، وله من تلك الصفة أجلها وأكملها، ومن كبريائه أن العبادات كلها، الصادرة من أهل السماوات والأرض، كلها المقصود منها، تكبيره وتعظيمه، وإجلاله وإكرامه، ولهذا كان التكبير شعارا للعبادات الكبار، كالصلاة وغيرها.

فالله هو الكبير في كل شيء لأنه أزلي وغني على الإطلاق، وهو الكبير عن مشاهدة الحواس وإدراك العقول، وهو ذو الكبرياء الذي هو كمال الذات أي كمال الوجود، وهو الذي كَبُر عن المشابهة، والكبير هو العظيم في كل شيء على الإطلاق في ذاته وصفاته وأفعاله الذي تجلى عن مشابهة مخلوقاته، فالله أعظم وأكبر مما يتصور العبد أو يتخيله، كما لا يجوز تخيل الكبير وتصوره: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً)[الإسراء:111]، يقول السعدي: أي: وعظمه تعظيمًا تامًا كاملاً، يليق

بجلاله -عز وجل-، وأجلّه بالإخبار بأوصافه العظيمة، وبالثناء عليه، بأسمائه الحسنى، وبتمجيده بأفعاله المقدسة، وبتعظيمه وإجلاله بعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص الدين كله له.

✉وكبّره تكبيرًا، فأي إحسان إلا إحسانه، وأي إنعام إلا إنعامه، وأي كرم إلا كرمه، وأي جود إلا جوده، وأي فضلٍ إلا فضله وأي عطاءٍ إلا عطاؤه.

وهو العلي فكل أنواع العلو له فثابتةٌ بلا نكران

وهو العظيم بكل معنىً يُوجب التعظيم لا يحصيه من إنسان

وهو الجليل فكل أوصاف الجلالِ له محققةٌ بلا بطلان

✉وكبّره تكبيرًا، فهو الكبير الغني عن كل أحد، الفرد الصمد الذي لا شريك له ولا ولد.

🖉ولأهل العلم كلام نفيس في معاني اسم الله الكبير المتكبر كلاما يتماشى مع الحقائق والدلالات العظيمة لهذا الاسم المقدس منها:

📝المتكبر: هو من الكِبر أو الكِبَر نقيض الصغر، وكبر الأمر جعله كبيرًا منه: (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ) [يوسف:31]، أي عظمه.. فالتكبير التعظيم، والكِبر هو الرفعة في الشرف، والكبرياء العظمة والملك، كقول الله تعالى: (وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ) [يونس:78]، أي العظمة والتجبر.

📝وأما «(المتكبر): هو سبحانه العظيم ذو الكبرياء، المتعالي عن صفات خلقه، المتكبر على عتاتهم. والكبرياء: العظمة والملك، وقيل: هي عبارة عن كمال الذات، وكمال الوجود، ولا يوصف بها على وجه المدح إلا الله» لسان العرب، وهي صفة ذات لازمة له سبحانه أبداً.

❍ المتكبر: معناه الذي تكبر عن كل شر، فسبحانه وتعالى تكبر عن ظلم العباد، يقول النبي فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يَا عِبَادي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسي وَجَعَلْتُهُ بيْنَكم مُحَرَّماً فَلا تَظَالَمُوا» (رواه مسلم).

❍ومعناه الذي تكبر وتعالى عن صفات الخلق فلا يلحقه نقص، ولا يعتريه سوء سبحانه.

❍هو الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيعاملهم بكبريائه سبحانه وتعالى.

❍وهو الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله، هو الذي تكبر عن كل سوء، المتعاظم عما لا يليق من صفات الذم.

❍ وقال بعضهم: "المتكبر: البليغ الكبرياء والعظمة".

❍ أما الكبير -اسم الله الكبير- فقال أهل العلم كابن جرير الطبري: "الكبير هو: العظيم الذي كل شيء دونه، ولا أعظم منه".

📋قال الخَطابِي: "هُو الذِي تَكبَر عَنْ كُلِ سُوءٍ فلا شيء مِثلهُ وَالذِي كَبُرَ وَعَظُمَ فكُلُ شيء دُون جلاله صَغيرٌ وَحَقيرٌ، فَإذا عَرفْتَ مَعنَى الكَبِيرْ، عرفْتَ مَعْنَى اللهُ أَكْبَرُ فِي كلِ صلاة، اللهُ أَكْبَرُ مِنْ الشَيطَانِ، وَوسْوسَتهُ فِي نَفْسِي، اللهُ أَكْبرَ مِنْ أَنْ نحِيطَ بِهِ عِلْما، اللهُ أَكْبَر مِنْ أَنْ نَعْرِفَ لَهُ كنْهَا سُبْحَانهُ وَتَعالىَ".

📋وقال الحليمي: "الكبير هو المصرّف عباده على ما يريده منهم من غير أن يروه.

قال السعدي: الكبير: الذي له الكبرياء في ذاته، وصفاته وله الكبرياء في قلوب أهل السماء، والأرض، قال تعالى:(وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الجاثية:37]

وقال أيضاً: عن أسمائه (المجيد، الكبير، العظيم): «وهو الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال الذي هو أكبر من كل شيء وأعظم من كل شيء وأجل وأعلى، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له والتذلل لكبريائه» - تفسير السعدي

على هذا يكون اسم الله المتكبر والكبير معني به أمور:

- التكبر عن كل سوء وظلم.
- التكبر عن صفات الخلق وعن مشابهة الحوادث.
- التكبر والتعاظم على كل شيء دونه، فكل شيء دونه حقير صغير، أما الله فهو الكبير المتكبر سبحانه، وهو الذي له الكبرياء في السماوات والأرض أي له السلطان والعظمة.

ومن خلال عرض كلام أهل العلم عن هذا الاسم المقدس يتضح لنا أن التكبير يعني التعظيم، إلا أن الكبرياء أكمل من العظمة، وهي داخلة فيه، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله: "وفي قوله الله أكبر، إثبات عظمته، فإن الكبرياء تتضمن العظمة، ولكن الكبرياء أكمل، ولهذا جاءت الألفاظ المشروعة في الصلاة والآذان، بقول: الله أكبر، فإن ذلك أكمل من قول: الله أعظم، وقد ثبت في الصحيح عن النبي-صلى الله عليه وسلم- أنه قال:" قَالَ اللَّهُ -عز وجل- "الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ" [صحيح أبي داود]؛ فجعل العظمة كالإزار، والكبرياء كالرداء، ومعلوم أن الرداء أشرف، فلما كان التكبير أبلغ من التعظيم، صرَّح بلفظه وتضمَّن ذلك التعظيم"

والكبرياء يأتي في القرآن على نوعين:

1. أحدهما يرجع إلى صفاته سبحانه، فله معاني العظمة والجلال، وكمال العزة والقدرة، وسَعَة العلم، وكمال المجد والعظمة، وغيرها من أوصاف العظمة والكبرياء.

وهذا له صور كثيرة: منها أن كرسيه وسِع السماوات والأرض، ومن عظمته وكبريائه أنَّ نواصي العباد بيده، فلا يتصرفون إلا بمشيئته، ولا يتحركون ويسكنون إلا بإرادته، ومن عظمته وكبريائه وهيبته أنه مالك يوم الدين، يوم يحشر فيه الأولين والآخرين والمخلوقات أجمعين فلا يغيب منهم أحد، ولا يفلت من قبضته أحد، ومن كبريائه وعظمته أنهم يأتونه مذعنين وجلين قد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم أتيه يومها فردا، ولا يتكلم أحد منهم إلا بإذنه.

ومن كبريائه وعظمته أن الأرض قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، وهنَّ في يده سبحانه كخردلة في يد أحدنا، قال الله تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الزمر:67]، فله سبحانه وتعالى الكبرياء والعظمة، وهما وصفان لا يُقَادر قَدْرهما، ولا يَبْلغ العِباد كُنْهَهُما، ومن كبريائه وعظمته وجبروته أن العبادات كلها الصادرة من أهل السماوات والأرض، جميعها المقصود منها: تكبيره وتعظيمه، وإجلاله وإكرامه، ولهذا كان التكبير شعارا للعبادات الكبار، كالصلاة وغيرها.

❷والوجه الثاني الذي يأتي عليه الكبرياء في القرآن: أن التعظيم، والتكبير والإجلال، والتمجيد لله، ولا يستحقها أحد سواه، فيجب على العباد أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته ومحبته والذل له، والخوف منه، وإعمار اللسان بذكره، والثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره، وعبوديته.

📝واسم الله الكبير له صيغ متعددة: المُتكبر، والأكبر، وقد وصف جزاءه للمؤمنين، ومقام ذكره بالأكبر، قال تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة:72]، وقال تعالى: (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) [العنكبوت: 45]، فالله تبارك وتعالى هو الكبير المتعال، الذي كبر وعظم ولا شيء أعظم منه، وكل شيء دون جلاله صغير وحقير، وهو الموصوف بالجلال وكبر الشأن، والملك والعظمة والسلطان، وله الكبرياء في السموات والأرض، وله الحمد على ربوبيته لسائر الخلائق، حيث خلقهم ورباهم، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، وله الكبرياء والجلال، والعظمة والمجد: (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الجاثية: 36-37].

📝وأثر تعظيم الباري وتكبيره يظهر في بث الروح في الطاعات والعبادات، وأي طاعة لا يخرج العبد منها بتعظيم ولا تكبير لله وتمجيد للكبير لا قيمة لها ولا ثمن، وتقديمها بغير ذلك كتقديم أضحية ميتة لا روح فيها، لذلك شُرعت التكبيرات في الصلاة في افتتاحها وتنقلاتها، وهذه المشروعية في الصلاة ينتج عنه أجمل الخواطر وأحسن النتائج فيها، بحيث تعظِّم من شأن الصلاة عند استحضارك معنى هذا الاسم العظيم، وهو مما يجلب الخشوع والطمأنينة فيها ويحملك على تجاهل كل شيء سواها إذا استحضرت معناه، وأنه لا أكبر من الله تبارك وتعالى، فهو أكبر من المال والبنين، وأكبر من البيع والتجارة، لكن احذر أن يقولها لسانك، وفي ذهنك وخاطرك وقلبك من هو أكبر من الله من متاع الدنيا الفانية، أو متعها الزائلة، شغلك عنه وصرفك عن معاني الصلاة.

📝وقد جُعِل التكبير وهو ذكر الانتقال بين حركات الصلاة من بين سائر الأذكار؛ لاستحضار هذا المعنى، فلا يسهو العبد ولا يفكر في الدنيا، بل يخشع لله الأكبر سبحانه وتعالى، "قوله: (وكبره تكبيرا): وكبره تكبيراً؛ لأن عظمة الله سبحانه في نفس المؤمن أكبر من كل شيء، وأكبر من كل كبير، لذلك جُعلتْ (الله أكبر) شعار أذانك وصلاتك، فلا بُدَّ أن تُكبِّر الله، وتجعله أكبر مِمّا دونه من الأغيار، فإنْ ناداك وأنت في أيّ عمل فقُلْ: الله أكبر من عملي، وإنْ ناداك وأنت في حضرة عظيم، فقل: الله أكبر من أيِّ عظيم، كبِّره تكبيراً بأن تُقدِّم أوامره ونواهيه على كل أمر، وعلى كل نهي".

✉فالمصلي يكرر في كل ركن «الله أكبر»، كلما ظهرت أمامه الدنيا وشهواتها، قال: «الله أكبر»؛ أي من كل ذلك، وإذا وسوس الشيطان، قال: «الله أكبر»، فيخنس الشيطان، فكلما كرَّر التكبير استعان بالله واستشعر كبرياءه جل وعلا، وكلما سها في صلاته وقلَّ الخشوع، رجع إلى الله قائلًا: «الله أكبر».

✉وعلَّمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقول بعد الصلاة: «الله أكبر» ثلاثًا وثلاثين، وعلَّمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نُكبِّر الله عند النوم أربعًا وثلاثين، كل هذا ليعيش المؤمن مع الله الكبير، حتى لا يخضع لمخلوق ولا يذل لدنيا ولا لشهوة.

يقول الإمام ابن القيم - تعالى - عن معنى التكبير: «فالله سبحانه أكبر من كل شيء، ذاتًا وقدرًا وعزة وجلالة، فهو أكبر من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله كما هو فوق كل شيء وعال على كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله» الصواعق المرسلة

وقال القحطاني: هو الموصوف بصفات المجد والكبرياء، والعظمة والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له والتذلل لكبريائه.

ويقول ابن القيم عن سر التكبير في الصلاة «.. فإن العبد إذا وقف بين يدي الله وقد علم أن لا شيء أكبر منه، وتحقق قلبه ذلك وأشربه سره استحيا من الله ومنعه وقاره وكبرياؤه أن ينشغل قلبه بغيره وما لم يستحضر هذا المعنى فهو واقف بين يديه بجسمه، وقلبه يهيم في أودية الوساوس والخطرات، وبالله المستعان، فلو كان الله أكبر من كل شيء في قلب هذا لما اشتغل عنه بصرف كلية قلبه إلى غيره، كما أن الواقف بين يدي الملك المخلوق لما لم يكن في قلبه أعظم منه لم يشغل قلبه بغيره، ولم يصرفه عنه صارف» حاشية ابن القيم على سنن أبي داود

ولأهمية تكبير الله -عز وجل- وتعظيمه نجده مصاحبا للمسلم في عبادات عديدة، وطاعات متنوّعة، ليس في الصلاة فحسب، فالمسلم يكبّر الله عند ما يُكْمِل عِدَّة الصِّيام، في ليلة العيد ويومه، كما قال الله تعالى: (وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة:185]، ويكبّروا الله في أكثر من موطن في الحج، عند رمي الجمرة، وأيام العيد، وبداية الطواف عند الحجر، قال الله تعالى: (لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) [الحج:37]، وكذلك يصْحَب المسلم في تكبيراته المطلقة كلَّ وقت وكلَّ حين، وبهذا يتبين مكانة التكبير، وجلالة قدره، وعِظَم شأنه من الدين، كما أنه من شعائر الأعياد والمناسبات.

بالتأمل في المواطن والأحوال التي شرع فيها هذا الذكر العظيم نجده إما قبل الشروع في عبادة أو بعدها، أو في المواضع الكبار التي يجتمع فيها الناس، أو في حضور عدو من شياطين الجن أو الإنس، أو عند رؤية آية من آيات الله وعن سر التكبير في هذه المواطن يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - تعالى - بعد أن ساق بعض هذه المواضع:«... وهذا كله يبين أن التكبير مشروع في المواضع الكبار لكثرة الجمع، أو لعظمة الفعل، أو لقوة الحال أو نحو ذلك من الأمور الكبيرة ليبين أن الله أكبر وتستولي كبرياؤه في القلوب على كبرياء تلك الأمور الكبار؛ فيكون الدين كله لله، ويكون العباد له مكبرين، فيحصل لهم مقصودان: مقصود العبادة بتكبير قلوبهم لله، ومقصود الاستعانة بانقياد الطالب لكبريائه».(مجموع الفتاوى)

التكبير عند رؤية الحريق وعن سر التكبير عند رؤية الحريق وأثر ذلك في إخماده يقول ابن القيم تعالى: «... لما كان الحريق سببه النار وهي مادة الشيطان التي خلق منها، وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشياطين بمادته وفعله، كان للشيطان إعانة عليه، وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد، وهذان الأمران وهما العلو في الأرض والفساد، هما هدي الشيطان وإليهما يدعو وبهما يهلك بني آدم. فالنار، والشيطان كل منهما يريد العلو في الأرض والفساد. وكبرياء الرب، تقمع الشيطان وفعله، ولهذا كان تكبير الله، له أثر في إطفاء الحريق، فإن كبرياء

الله لا يقوم لها شيء، فإذا كبر المسلم ربه، أثر تكبيره في خمود النار وخمود الشيطان التي هي مادته فيطفئ الحريق وقد جربنا نحن وغيرنا فوجدناه كذلك والله أعلم» زاد المعاد

إن الله -عز وجل- هو الكبير العظيم الذي أكبر من كل شيء، وأكبر من أن يعرف كنه كبريائه وعظمته، وأكبر من أن نعرف كيفية ذاته وصفاته، ومن أراد أن يعرف عظمة ربه وكبرياءه، وصفات جلاله، وصفات جماله، فلينظر إلى الآيات الكونية في العالم العلوي والسفلي، وليشاهد الآيات القرآنية التي لا تكاد تخلو آية منها من اسم لله، أو صفة من صفاته، أو فعل من أفعاله، أو أمر من أوامره، وكذلك ينظر إلى أقرب دليل وأكبر شاهد هي نفسه وتركيب جسده، وعليه كذلك بسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، الذي هو أعلم الخلق بربه، وعليه أُنزل الكتابُ العزيز.

فيا أيها الإنسان، يا من خلقك الله تعالى واستخلفك في الأرض وسخر لك المخلوقات لخدمتك: عليك أن تكون كما أراد خالقك بأن تستمد صفاتك من صفاته، فتكبر عن الرذيلة وتكبر عما يصغرك في القول والفعل حتى تتأهل لأن تكون مستخلفًا في الأرض، كما يراد لك أن تكون مميزًا بما ميزك الله به عن بقية المخلوقات، وأن تعظم بعظمته، وتكبر بكبره، وتستحق بذلك خلافة الله العظيم.

فخلافة الله لك لا تكون لأي إنسان فقط لمجرد أنه إنسان، ولكن خلافته تكون لمن يستحق الخلافة بجدارة، وذلك باتصافه بالصفات التي يحبها الله وطاعته في كل أمور الحياة، فكيف يكون مؤهلاً ومستحقًا للاستخلاف امتدادًا من اسم الله الكبير من يصغر أمام الشهوات وينبطح أمام الإغراءات، كيف يكون مؤهلاً للاستخلاف من عنده استعداد أن يتنازل عن كرامته وعزته مقابل إغراء أو إغواء أو تخويف أو تسويف!!

كيف يكون مؤهلاً للاستخلاف من يغير مواقفه كل لحظة تبعًا لفتات يرمى له أو عطايا أو منح؟! فهؤلاء وأمثالهم عطلوا أدوات الاستخلاف، فعرضوا أنفسهم للاستخفاف ليلتحقوا التحاق هبوط لا التحاق مماثلة أو صعود، ليلتحقوا بعالم الأنعام التي وجهها إلى الأرض، قال تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ)، أدوات الاستخلاف: (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [الأعراف:179].

ومن العجب أن تأتي بعد هذه الآية مباشرة في سورة الأعراف: (وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)، في إشارة جلية إلى أن انتسابك لهذه الأسماء وتمثلك بها في حياتك وجعلها عنوان استخلافك هو الذي يرقيك في مراقي الصعود، ويخرجك من عالم الانحسار والقعود، لتلبس حُلّة العبودية اختيارًا، وشتان ما بين عبودية الاختيار وعبودية الاضطرار.

يقول ربنا -جل شأنه-: (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) [الرعد:9]، يستشف من هذه الآية أن الله -سبحانه وتعالى- كبير في علمه؛ لأن الآية بدأت بـ(عَالِمُ الْغَيْبِ)، (الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ)، كبير في علمه وقدرته، وهذا يفهم من اقتران اسم الكبير مع المتعال في هذه الآية؛ فهو -سبحانه وتعالى- الكبير عن كل مقارن، الذي لا يتوارى عن علمه شيء، وهو أيضًا المتعالي والمستعلي عن كل شيء بقدرته عليه وبعلمه به.

والكبير هو العظيم في كل شيء عظمةٌ مطلقة، وهو الذي كبُر وعلا في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل من سواه، فله علو الذات وعلو القهر وعلو الشأن.

✉وعلى من استخلفه الله في أرضه أن يتصف بصفات الجمال كالحلم والكرم...وغيرها، ومن هذه الصفات "العلم"؛ امتثالاً لأول أمر من رب السماء نزل به الروح الأمين على قلب الأمين -صلى الله عليه وسلم-: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) [العلق:1]، فالقراءة هي أول مستخلف في العلم وفي الأرض على وجه الحقيقة، هو الذي يقرأ باسم من استخلفه في الأرض التي يراد له أن يكون فيها قارئًا مصلحًا وغير سافك للدماء.

✉فـ(اقْرَأْ) جاءت على صيغة الأمر، وأمر العلي لابد أن ينفذ، فكان الأمر كذلك مع سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي قرأ بالأمر الذي يتضمن تحقيق الفعل بالأمر، ثم أقسم الله في الآية الثانية التي نزلت بعد (اقْرَأْ) أقسم الله بعد ذلك بأداة التعلم وهي القلم: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) [القلم:1].

✉وفي هذا تعظيم لأدوات العلم، وبالتالي تعظيم للعلم ضمنًا، فالقسم دائمًا لا يكون إلا لمعظم، ولكن هذه القراءة حتى تكون مثمرة وهذا العلم حتى يكون نافعًا لابد أن يكون باسم من استخلفك لا باسم غيره.

✉وكما نرى ونسمع اليوم مع الأسف ممن يدعون المعرفة والثقافة كذبًا يسخّرون معرفتهم وأقلامهم للسخرية من الدين وتعاليمه، ويقدَّمون -في الإعلام وغيره- يقدَّمون في المجتمع على أنهم مفكرون ومبدعون، فكيف يسمى المبعد مبدعًا!! فالأليق به أن يسمى مبتدعًا.

✉فشتان بين العلم البديع وبين النجيع والرجيع، فاقرأ باسم ربك يقتضي أن تكون قراءتك وتحصيلك ودعوتك وكتاباتك تتناغم مع مراد الله -سبحانه وتعالى-.

✉أما إذا أخرج العلم عن هذا المقصد فهو علم بالاسم خالٍ من سر التزكية، لا يحقق إصلاحًا ولا ينشد فلاحًا، وأصحابه متوعدون بالإبعاد في الدنيا والذل يوم يقوم الأشهاد، فأعظم ثمرة للعلم هي الخشية، قال تعالى:(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) [فاطر:28]، قال الإمام القرطبي -رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية قال: "يعني بالعلماء الذين يخافون قدرته -سبحانه وتعالى-".

✉فمن علم أنه -عز وجل- قدير أيقن بمعاقبته على المعصية، كما روي عن ابن عباس في قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء)، قال: "الذين علموا أن الله على كل شيء قدير".

✉وقال الربيع بن أنس: "من لم يخش الله تعالى فليس بعالم"، وقال مجاهد: "إنما العالم من خشي الله -عز وجل-، وعن ابن مسعود -رضي الله عنه-: "كفى بخشية الله تعالى علمًا وبالاغترار جهلاً".

✉وقيل لسعيد بن إبراهيم: "من أفقه أهل المدينة؟!"، قال: "أتقاه لله -عز وجل-"، وقال الإمام علي: "إن الفقيه حق الفقه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره؛ لأنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فقه فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها". رضي الله عن هؤلاء الكبار وتعاريفهم التي كانت تصدر من قلوب متصلة بالله.

✉إذًا فمن مظاهر استخلافك في هذه الأرض انطلاقًا من اسم الله الكبير أن تكون في بحث دائم متواصل وسعي حثيث نحو المعرفة نحو العلم الذي يعرفك بهذا الكبير -جل في علاه-، فتكبر ساعتها وتكبر نفسك وتعلو على السفاسف والنواقص والخوارم.

أما إذا وصل بك علمك وشهاداتك وأسانيدك -إلى غير ذلك- إلى الاستكبار على خلق الله، ومدح نفسك، وتنقيص غيرك، فاعلم أنك بهذا العلم ما قصدت به وجه الله ولا قصدت رضوان الله، وإنما أردت أن يشار إليك بالبنان، وتنعت بأنك إمام العلم والبيان، وهذا خطر عظيم آخره النار، عياذًا بالله العزيز الغفار.

إذاً فمن أعمل عقله وتعلُّم العلم بنية الهداية يكن خير الخلق وهو الخليفة، أما الجاهل الذي لا يُعمل عقله في الآيات التي سخرها الله من حوله لهدايته فيكون كما وصف الله شر الخلق والخليقة: (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ) [الأنفال:22].

وورد اسم الكبير في القرآن مقترنًا باسم العلي في قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) [الحج:62]، وقد جاء قبل هذه الآية قوله -سبحانه وتعالى-: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [لقمان:29].

في هاتين الآيتين دليل على أن الله -عز وجل- عظيم وكبير في قدرته، فهو الذي بقدرته يولج الليل في النهار، وهو الذي يدخل ما ينقص من ساعات الليل في النهار، وما ينقص من ساعات النهار في الليل: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ).

وهذا لا يقدر عليه إلا كبير القدرة وهو الله، وهو بذلك مستحق للعبادة ومتفرد بالألوهية؛ حيث لا تصلح الألوهية إلا لمن كملت قدرته، والخليفة الذي استخلفه الله لابد أن يكون أيضًا قادرًا بالقوة التي خلق عليها بأحسن تقويم، فيستمد قدرته من قدرة الخالق -عز وجل-، فيبدأ بنفسه، أي أن يكون قادرًا على ترويض نفسه أولاً وكبح جماحه، فيروض نفسه على الطاعات والعبادات التي أوجبها الله تعالى، ويكبح جماح نفسه عن فعل المعاصي التي ينهى عنها المولى -عز وجل- وتسبب في إغضابه وتعرض مرتكبه إلى عقابه وعذابه.

ثم بعد ذلك وانطلاقًا من هذه القدرة يمضي في قضاء حوائج الناس والتفريج عنهم بحسب طاقته ووسعه، لا يكون همه نفسه فقط وأولاده، ولكن إلى جانب ذلك يهتم بقضاء حوائج إخوانه، ويدفع عنهم الأذى، مستصحبًا مع ذلك التذلل والافتقار إلى الله -عز وجل-، قال تعالى عن كليمه موسى -عليه الصلاة والسلام-: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا...)، استخدام القوة في محلها، (ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) [القصص:23، 24].

فالقدرة والقوة من الآدمي إذا لم تغلّف بغلاف التذلل والافتقار قادت صاحبها إلى الطغيان والعلو والتجبر على خلق الله، ساعتها يعرض نفسه لانتقام القدير المقتدر -سبحانه وتعالى-.

فـ (الله أكبر) إذا امتلئ بها قلب العبد خرج منه كل كبر وكل غرور، وكل رياء وكل ارتفاع وكل علو وكل آفة، وإذا صدق في هذه الكلمة كان لها في قلب السامع أعظم الأثر؛ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: " قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : الكبرياءُ ردائي ، والعظمةُ إزاري ، فمَن نازعَني واحدًا منهُما ، قذفتُهُ في النَّارِ" صحيح أبي داود

❁أسماء الجلال يجب على العبد أن يتخلق بضدها مثال المتكبر يجب عليك ان تتصف بالتواضع واذا نازعت الله في الكبر قسمك العظيم، "فمَن نازعَني واحدًا منهُما، قذفتُهُ في النَّارِ"

قال -ﷺ -:"يُحشَرُ المتَكَبّرونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرّجالِ يغشاهمُ الذُّلُّ من كلِّ مَكانٍ ، يُساقونَ إلى سجنٍ في جَهَنَّمَ يسمَّى بولُسَ تعلوهُم نارُ الأَنيارِ يَسقونَ من عُصارةِ أَهْلِ النَّارِ طينةَ الخبالِ" صحيح الترمذي

✉توَعَّد اللهُ تعالى المتكبّرين الَّذين يتَكبَّرون على عِبادةِ اللهِ تعالى، وعلى خلْقِ اللهِ بأشَدِّ أنواعِ العذابِ يومَ القيامةِ؛ فالكِبْرُ صِفةٌ مذمومةٌ، ذمَّها اللهُ سبحانه وتعالى في كِتابِه، وحذَّرَنا منها رسولُنا صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم، كما يقولُ في هذا الحديثِ: "يُحشَرُ المتكبّرون"، أي: يَحشُرُ اللهُ سبحانه وتعالى أو يأمُرُ الملائكةَ أن تَحشُرَ المُتكبّرين الَّذين يتَكبَّرون على عِبادةِ اللهِ تعالى، وعلى خَلْقِ اللهِ تعالى، والكِبرُ: إنكارُ الحقِّ وتَحقيرُ النَّاسِ، "يومَ القيامةِ"، أي: يَحشُرُهم يَومَ القيامةِ في أرضِ المَحشَرِ، وهُم "أمثالُ"، أي: مِثلُ وفي حَجْمِ، "الذَّرِّ"، أي: النَّملِ الصَّغيرِ، وقيل: إنَّ مِئةَ نَملةً مِنها وَزنُ حبَّةٍ، وقيل: الذَّرَّةُ يُرادُ بها ما يُرى مِن هباءٍ وغُبارٍ في شُعاعِ الشَّمسِ الدَّاخِلِ في النَّافذةِ، في "صُورِ الرِّجالِ"، أي: على صُورِ الرِّجالِ في هيئَتِهم، ولكنَّ حَجْمَهم حَجمُ النَّملِ في الصِّغَرِ والحقارةِ، "يَغْشاهم"، أي: يأتيهم ويَنالُهم، "الذُّلُّ"، أي: المهانةُ، "مِن كلِّ مكانٍ" ومِن كلِّ جانبٍ بأنْ يطَأَهم الخلائقُ ويَدوسوا عليهم بأرجُلِهم؛ وذلك الجَزاءُ مِن جِنسِ عَملِهم؛ فإنَّهم لَمَّا تَكبَّروا وأرادوا العِزَّةَ والعُلوَّ بغيرِ الحقِّ، أذلَّهم اللهُ تعالى وصَغَّرَ وحَقَّرَ شأنَهم؛ فعُومِلُوا بنقيضِ قَصدِهم جَزاءً وفاقًا. الدرر السنية

✉ثم إنه يجب على هذا الإنسان المستخلف بمقتضى ما أعطاه الله من قدرة وقوة واستمدادًا من اسم الله الكبير أن يكون قادرًا على إفادة المسلمين، وكذلك على إعلاء كلمة الله والدفاع عن الإسلام وعن نبي الإسلام سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-.

📠كيف يكون قلبك مكبراً لله تعالى؟ تكبير الله حق له وحده والمقصود من التكبير أمران:

الأول: تحقيق العبودية لله وحده.

الثاني: تحقيق مقصود الاستعانة بالله.

📠فإن أعظم ما يعين على الاستعانة بالله تعالى في عبادته وفي كل أمور الدنيا والآخرة، وأن يكون الدين كله له وحده لا شريك له هو التكبير- ولذلك لا ينفك حال المؤمن عن التكبير (راجع مواطن التكبير وحالاته) – فلو أخذت حظك من التكبير الحق، التكبير الذي يواطئ القلب فيه اللسان فيظهر أثر ذلك على الجوارح، فيشهد قولك وعملك وحالك على تكبيرك لله، وهذا هو التكبير الحق وليس مجرد تكبير باللسان فقط، لو تحقق لك ذلك ليسرت لليسرى.

(لو أخذت حظك من التكبير الحق) .... ودعيت للإنفاق أو للجهاد مثلاً أو استمعت لأمر الله سبحانه بتجنب النظر الحرام مثلاً لاستجبت فوراً، ويكون أمر الدين عليك سهلاً وميسراً.. كيف؟ الإنسان خلق مفتناً، فالشهوات لها سلطان على النفس، والنفس أمارة بالسوء إلا من رحم ربي قال تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) [آل عمران:14]

📠فالنفس الإمارة بالسوء تدخل أوامر على القلب - لأنه ملك الجوارح – لتحقق شهواتها ولكن المكبر لله حق التكبير، وقد امتلأ قلبه بكبرياء الله ، يكون سلطان الله في قلبه هو المسيطر وله

الغلبة على سلطان شهواته فتضمحل وتذوب بجانب كبرياء الله وسلطانه الذي قد ملأ هذا القلب المكبر لله تعالى حقاً ، فكبرياء الله وسلطانه في قلب المكبر تستولي على كبرياء الشهوات وإن من أهم أسباب التعثر والتعسر الذي نعانيه أن النفس تأمر القلب بالسوء وما عنده تكبير لله تعالى يصد تلك الموجات والهجمات فعندما ترجو الأسباب ، وترجو الله فالواجب أن يستولي سلطان الله وكبريائه في قلبك - بتكبيرك لله - على سلطان الأسباب وهذا هو التوحيد وتكون ميسراً لليسرى ، ويكون الدين كله لله وحده لا يعبد غيره بما في ذلك شهواتك ، يقول شيخ الإسلام تعالى :((الله أكبر : يستولي كبرياؤه في القلوب على كبرياء تلك الأمور الكبار؛ فيكون الدين كله لله ، ويكون العباد له مكبرين، فيحصل لهم مقصودان: مقصود العبادة بتكبير قلوبهم لله، ومقصود الاستعانة بانقياد الطالب لكبريائه)) مجموع الفتاوى

إذا استقرت في نفسه هذه المعاني والدلالات عن تكبير الله وتعظيمه، وتشربت بها روحه، فسوف يثمر له آثاراً طيبة ومنها:

❶يورثه طمأنينة وقوة قلب وشجاعة ليقينه أن كل شيء مهما كبر فالله أكبر، وأن كبرياء الرب، وجلالُه، وجمالُه، وسائرُ أوصافه، ونعوتِه، أمرٌ لا يمكن أن تُحيطَ به العقول، أو تتصَوَّره الأفهام، أو تُدْركَه الأبصار، فالله أعظم وأكبر من ذلك.

❷ومن الآثار الإيمانية: أن ينعم المؤمن بالحرية التامة الكاملة، حيث لا سيد ولا عظيم ولا كبير على الحقيقة إلا الله، ولا ملجأ ولا ملاذ إلا إليه -سبحانه- الكبير المتعال، فيكون ذلَّه لربه وحده، وانكساره بين يديه، وسيصرف له أنواع العبادة، لاعتقاده أن الكبير هو وحده مستحق لها دون سواه.

❸ومن الآثار الإيمانية: أن يجعل المؤمن "الله أكبر" شعار حياته وسيره، فالله -عز وجل- عنده أكبر من كل شيء وأي شيء، الله أكبر من الولد والوالد والزوجة والناس أجمعين، الله أكبر من الطواغيت والأعداء ومن كل المخاوف، الله أكبر من الأموال والمتاجر والمناصب، الله أكبر من كل الشواغل والعوارض والطوارئ، الله أكبر من الرغبات والطلبات والحاجات والشهوات، وقد خاطب الله نبيه بقوله: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) [المدثر:1-3].

❹ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الكبير: أن يملأ المؤمن قلبه ونفسه تواضعا بين يدي ربه الكبير، فلا يرى لنفسه فضلا ولا منزلة من غير ربه -سبحانه-، يكون دائم التذكر لقيمته الحقيقية وأنه من غير مدد من ربه ونعمة من خالقه؛ ضعيف عاجز فقير، كما قال تعالى: (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ) [النحل:53].

❺ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الكبير: أن يكون المؤمن دائم التعظيم والإجلال لله -سبحانه-, معظماً شعائره ودينه، وأوامره وكلامه، (ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) [الحج: 32].

❻ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الكبير: يغرس في قلب المؤمن الثقة واليقين به -سبحانه-، فتجده لا يخضع لأحد، ولا يصيبه الانهزام واليأس مهما واجه، ففي يوم أحد لما وقف أبو سفيان أَخَذَ يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلُ، أُعْلُ هُبَلُ، فقال رسول اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَجِيبُوهُ" فَقَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: "قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ" (البخاري).

⇦إننا نريد قلوبا كهذه لا يتسلل إليها الانهزام، نريد عُباد الكبير المتعال، نريد عباد الله الأعلى والأجل، الله الأكبر من كل كبير، "الله أكبر" تتردد على مسامعنا في الأذان وفي الصلاة كل يومٍ

مرات كثيرة؛ لتتملك نفوسنا هذه المعاني، وتتشربها وتحيا بها، فلا تعظم شيئًا حقره الله الكبير، ولا تحقر شيئًا عظمه.

❼إذا علم العبد أن ربه هو المتكبر فذلك يولد علما ويقينا راسخا أن الله عز وجل أعلى وأجل وأرفع من كل شيء، فالتكبر لا يليق إلا به سبحانه وتعالى، وصفة السيد التكبر والترفع وأما العبد فصفته التذلل والخشوع والخضوع.

❽الكبر ينافى حقيقة العبودية والاستسلام لرب العالمين، قال سبحانه:(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) [الأعراف: 146]، وقال سبحانه :(إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[غافر 60]،وثبت في الصحيح عن النبي -ﷺ- أنه قال : (لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ)، والصفة التي ينبغي أن يكون عليها المسلم هي التواضع ، تواضعٌ في غير ذلة ، ولينٌ في غير ضعف ولا هوان ، وقد وصف الله عباده بأنهم يمشون على الأرض هوناً في سكينة ووقار غير أشرين ولا متكبرين ، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود أن رسول الله -ﷺ-قال :(إِنَّ اَللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) .

❼ومن الآثار الإيمانية: أن يلهج باسمه الكبير -سبحانه-، ذاكراً له مثنياً عليه، فالتكبير ذكر عظيم يحبه الله تعالى، عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مِنْ اللَّيْلِ فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ قَالَ: "اللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ" (أحمد)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: "بيْنَما نَحْنُ نُصَلِّي مع رَسولِ اللهِ -ﷺ- إذْ قالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقالَ رَسولُ اللهِ -ﷺ-: مِنَ القَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟ قالَ رَجُلٌ مَنِ القَوْمِ: أَنَا، يا رَسولَ اللهِ، قالَ: عَجِبْتُ لَهَا، فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ قالَ ابنُ عُمَرَ: فَما تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ ذلكَ". صحيح مسلم

وقَالَ -ﷺ-: "أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ" (مسلم)، وقَالَ -ﷺ-: "لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ" (مسلم).

وروى ابن أبي شيبة رحمه الله في "مصنفه" بسند صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: " مَنْ قَالَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَإِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا عَدَدَ الشَّفْعِ ، وَالْوِتْرِ، وَكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الطَّيِّبَاتِ الْمُبَارَكَاتِ ، ثَلَاثًا، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِثْلُ ذَلِكَ ، كُنَّ لَهُ فِي قَبْرِهِ نُورًا ، وَعَلَى الْجِسْرِ نُورًا، وَعَلَى الصِّرَاطِ نُورًا ، حَتَّى يُدْخِلَنَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ) .

❽ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الكبير: أن استشعار هذا الاسم ومعانيه يجعل المؤمن عالي الهمة، يطلب معالي الأمور، ولا يرضى بسفاسفها، فلا يجالس إلا ذوي الفضل والمروءة والأخلاق الرفيعة، ولا يصاحب غير الصالحين والعلماء والأتقياء الذين هم من كبار طلاب الآخرة، وليسوا من كبار الدنيا.

وفي الختام: لا ينبغي أن تكون لنا رغبةً إلا فيما عند الله، ولا رهبةً إلا من عذاب الله فلا نُعظم سواه ولا نخضع لغيره، ولا بد أن تلهج قلوبنا قبل ألسنتنا بكلمة (الله أكبر)، ولنعلم أن مراقبة الله وتكبيره وتعظيمه صِمَام أمان في نفوس الناس، وازع خيرٍ ومانع شرٍّ إذا غُرس في قلب العبد.

المراجع:

❶ البيان الغزير لفقه اسم الله الكبير: ملتقى الخطباء - الفريق العلمي.

❷اسم الله المتكبر الكبير: هاني حلمي.

❸اسم الله الكبير: ملتقى الخطباء - الفريق العلمي.

❹اسم الله سبحانه (الكبير-الأكبر-المتكبر) في القرآن: ملتقى التفسير.

ه